النفاق الاجتماعي وأثره في نقض معالي الأخلاق في ضوء السنة النبوية الشريفة

Social Hypocrisy and its Impact on Violating the Excellence of Morals in the Light of the Noble Prophetic Sunnah

عتيقة عايسي[1]، صونية حسيني[2*]

[1] مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة الأغواط، الجزائر، ahmedaissi38@gmail.com

[2] كلية العلوم الإسلامية جامعة باتنة 1، الجزائر، d-sonia@hotmail.com

تاريخ الاستلام:2021/12/22	**تاريخ القبول:**2021/12/30	**تاريخ النشر:**2021/12/30

ملخص:

إن لفظ النفاق يطلق ويراد به معنيين: المعنى الأول هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر، كما يطلق ويراد به نفاق العمل أو السلوك، أو النفاق الاجتماعي –كما يسميه بعضهم– وهو المعنى المقصود في هذا البحث؛ وهومن الأمراض النفسية التي تعاني منها المجتمعات حيث يوجد أفراد يتقمصون شخصيات وخصال وسلوكيات فاضلة؛ تختلف في حقيقتها عن الجوهر النفسي لهم؛ الإسلام استهجن هذا السلوك غير السوي والغير حضاري؛ ذو الآثار الوخيمة على نفسية المرء؛ وكذا على العلاقات الاجتماعية لأن إظهار الخير وإضمار الشر يعمل على هدم ونقض الهرم البنائي المعنوي للعلاقات الاجتماعية مما يشكل بعد ذلك زعزعة في النظام العام للمجتمع.

كلمات مفتاحية: نفاق، اجتماعي، قيم، أخلاقية، تأصيلي.

Abstract:

The term hypocrisy is used and intended by two meanings: the first meaning is to manifest faith and conceal infidelity, as it is called and intended by hypocrisy of action or behavior, or social hypocrisy - as some call it - which is the intended meaning in this research; It is one of the psychological diseases that societies suffer from, where there are individuals who assume virtuous personalities, qualities and behaviors; They differ in reality from their psychological essence; Islam has deplored this immoral and uncivilized behavior. Has severe effects on one's psyche; The same applies to social relations, because manifesting good and harboring evil works to destroy and undermine the structural and moral pyramid of social relations, which then constitutes a disturbance in the general order of society.

Keywords: Hypocrisy, social, values, moral, originality.

* المؤلف المرسل

مقدمـة:

إن أهمية موضوع النفاق الاجتماعي تكمن في خطورته كسلوك واقعي يتعايش متعاطيه في المجتمع الإسلامي، بسبب صفاته التي تعمل كمعول هدم تنخر في جسد الأمة الإسلامية من حيث لا تعلم، كونه يظهر خلاف ما يبطن؛ فيظهر الصلاح ويعمل على الإفساد، ويظهر التقوى والورع والسعي إلى خير الناس وهويضمر العداء والكيد للمجتمع، ويظهر السعي للألفة ويعمل على التفريق والفتنة؛ وفي كل صفة من صفات النفاق تجعل الإنسان يتقمص شخصية المنافق من أحد جوانبها؛ ويبقى في اضطراب نفسي إلى أن تتحول هذه الخلال إلى معول هدم للقيم الأخلاقية حيث تتجذر في النفس الفرد التي تقضي فيها على كل منبت خير فيه، فتتآكل القيم الأخلاقية في نفس الإنسان بشكل تدريجي.

أما عن أهداف الموضوع فتتمحور حول:

- محاولة بيان صفات النفاق قصد التوجيه والارشاد لتجنبها.
- محاولة تفسير تصرفات بعض الأفراد الذين يحتار المجتمع في تصنيفهم ولا فهم تصرفاتهم المضطربة.

وإن إشكالية البحث تنبع من عنوانه: والتي تدور حول دور معالي الأخلاق في بناء المجتمعات، وأثر التحلي بصفات النفاق في نقض الهرم الأخلاقي للمجتمع، ومن هذه الإشكالية نبعت تساؤلات:

- ما هو المعنى الحقيقي للنفاق الاجتماعي؟ وما هو الخطر الذي يشكله النفاق الاجتماعي على معالي الأخلاق وعلى المجتمع؟
- ماهي حقيقة الصبغة الإنسانية التي خلق الله الإنسان عليها؟

هذه وغيرها من التساؤلات التي سيجيب البحث عنها بإذن الله تعالى.

1. المفاهيم والدلالات: لقد تعددت ألفاظ البحث فارتأينا أن نميط اللثام عن معنى المفردات الأساسية فيه:

1.1 مفهوم النفاق لغة واصطلاحا:

1.1.1. مفهوم النفاق لغة: لقد اختلف العلماء في أصل لفظ النفاق، وفيما يلي بعض التأصيلات له؛ وقد جاءت من نافَقَ مُنافَقَةً ونِفاقاً وهي:

أ-السَّرَبُ: جاء النفاق من لفظ النَّفَقُ بمعنى السرب في الأَرضِ له مَخْلَص إلى مكانٍ [آخر]، وقد سُمّي المنافق به لأنّه يسْتُر كُفرَه ويُغيّبه فشُبِّه بالذي يدْخُل النَّفَق وهو السَّرَبُ يسْتتِرُ فيه (أبادي، 1996)

ب- الحجر: وقيل جاء لفظ النفاق من النافِقاءُ: وهي إِحدَى جِحَرَةِ اليَرْبُوع يكتُمُها ويُظْهِر غَيْرَها، وهو موضعٌ يُرَقِّقه فإِذا أُتِيَ من جِهة القاصِعاءِ ضَرب بَرأْسِه النَّافِقاءَ وخرجَ، ومنه المُنافقُ فإِنَّه يدخل فى الدّين من باب ويخرجُ من بابَ (الصفهاني، 2009).

ج- النفاق الخروج بغير وجه الدخول: وقد جاء النفاق من النافِقاء: وهو أَن يحفر اليربوع حفيرة ثم يسد بابها بترابها، ويسمى ذلك التراب الدَّامّاء ثم يحفر حفراً آخر يقال له النافِقاء والنُّفَقَة والنَّفَق فلا ينفذها؛ ولكنه يحفرها حتى ترقّ فإذا أُخِذَ عليه بقاصِعائه عدا إلى النافِقاء فضربها برأْسه ومَرَق منها، إنما قيل له ذلك لأَن اليَرْبوع يخرج تراب الجحر ثم يسدّ به فم الآخر، ويقال نافَقَ اليربوعُ إذا دخل في نافِقائه.... فيقال هكذا يفعل المُنافق يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه.

د-معاني أخرى للنفاق:

النَّفَقُ، يدّل على انْقِطاع الشيءِ وذَهابِه، وتارةً على إِخفاءِ الشيء وإِغْماضِه، وعلى مُضِيّ شيءٍ ونَفاذه، ومنه نَفَقَ البيعُ نَفاقاً: راجَ، وفى المثل: "دُونَ هذا ويَنْفُق الحمارُ"، ونَفَقَت الدّابةُ نَفوقاً: ماتَتْ" (أبادي، 1996)

ويقال: نَوافق الأَوْبار؛ أَي: نَسَلَتْ أوبارُها من السِمَن، وأيضا قيل: نفق بمعنى نقص نقول: نفق مَاله ينْفق نفقاً: إِذا نقص ونفِقَتْ نفاقُ القَوْم: إِذا نَفِدَتْ. والنّفاق: جمعُ النَّفَقَة. كما قيل: والنفق؛ السَّرِيع الِانْقِطَاع من كل شَيْء... قَالُوا: ونفق الجرحُ: إِذا انقشر.

وعليه نصل إلى أن النفاق في اللغة أطلق وأريد به الإبداء من الشيء خلاف ما يبطن.

1.1. 2. مفهوم النفاق اصطلاحا:

"المنافق هو المُظهر لما يبطن خلافه" (الكرماني، 1981) لأن صاحبَه يكتُم خلافَ ما يُظهِر، فكأن الإيمان يَخرُج منه، أو يخرج هومن الإيمانِ في خفاء. ويمكن أنَّ الأصلَ في الباب واحد، وهو الخُرُوجُ ومنه إظهار الإيمان باللسان وكتمان الكفر بالقلب.

لكن قد فصل بعضهم (ابن السعدي، 2000) . مفهوم النفاق بقولهم: النفاق "هو أن يظهر الخير ويبطن الشر، وهو نوعان: نفاق أكبر كأن يظهر الإيمان بالله ورسوله، وقلبه منطو على الكفر، ونفاق أصغر كالكذب وإخلاف المواعيد والفجور في الخصومة"، وهوما يُطلق عليه اسم النفاق الاجتماعي.

فالمنافق يخالف قَوْلُه فِعْلَهُ، وسِرّه علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مَغِيبه. فالنِّفَاقِ "اخْتِلاَفَ اللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، وَاخْتِلاَفَ السِّرِّ وَالْعَلاَنِيَةِ، وَاخْتِلاَفَ الدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ" (ابن أبي شيبة، 1999).

فالنفاق إذن هو: إظهار الخير وإبطان الشر، ويدخل في هذا التعريف النفاق الاعتقادي، والنفاق العملي (ابن السعدي، 2000)

وعليه نخلص أن النفاق نوعان: نفاق الاعتقاد ومخرج من الملة ويعتبر أشد الكفر، ونفاق سلوكي عملي، وهو الذي يمارسه الناس لتحقيق مقاصد دنيوية، وهذا الأخير هو المقصود بالدراسة، ويعتبر معصية قد يؤدي إلى النفاق الأكبر.

2.1. مفهوم النقض لغة واصطلاحا:

1.2.1. مفهوم النقض لغة:

جاء لفظ النَّقْضُ في اللغة: من أصل نقض؛ النون والقاف والضاد أصلٌ صحيح يدلُّ على نَكْثِ شَيء. فالنَّقْضُ: بمعنى الإفْسادُ لما أَبْرَم من عَقْدٍ أَو بِناء، فنقول: نَقْضَ البِناء والحَبْلِ والعَهْدِ وغيره هو ضِدُّ الإبْرام، فنقول: نقَضَه يَنْقُضُه نَقْضاً وانْتَقَضَ وتَناقَضَ والنَّقْضُ اسمُ البِناء المَنْقُوضِ أي المهدوم؛ ومنه انتقض الأَمْرُ بعدَ الْتِئامِهِ وانْتَقَضَ أَمرُ الثَّغْرِ بعد سَدِّه أي انتكث. وفسد، وانحلت عراه بعد قيامها وترابطها؛ ولذلك يقال للبعير المهزول نِقْضٌ، كأَنَّ الأسفارَ نَقَضَتْه؛ وجمعه أنقاض.

ونقول: فلان يَنْقُضُ قولي وأَنْقُضُ قوله وأَراد به المُراجَعةَ والمُرادَّةَ، وناقضَه في الشيء مُناقَضةً ونِقاضاً خالَفَه ومن نقض الحبل والعقد استعير نقض العهد (الأصفهاني، 2009)

وعليه النقض هو إفساد لما أبرم من الأمور، وهي تصدق على الأمر المادي كما تصدق على الأمر المعنوي.

2.2.1- مفهوم النقض اصطلاحا:

لقد جاء تفسير كلمة النقض بعنى الحنث وهي في قوله تعالى:(وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا فقيل: "فنهى عن نقض الأيمان فوجب أن يكون كل يمين قابلاً للبر والحنث" لقد قابل الحنث بالنقض، وهو إفساد اليمين المنعقدة.

وجاء كذلك معنى نقض أنه: بيان تخلف الحكم الذي أورد لثبوته، أو نفيه دليل دال عليه في بعض من الصور. وبذلك نستنتج أن النقض هو إفساد وهدم لما قام على أسس متينة مادية كانت أو معنوية.

3.1. مفهوم العلو لغة واصطلاحا:

1.1.3. مفهوم العلو لغة:

علا: فالعين واللام والحرف المعتل ياءً كان أو واواً أو ألفاً، أصلٌ واحد يدلُّ على السمو والارتفاع، لا يشذُّ عنه شيء ، فيقال: عَلا فلانٌ الجَبَلَ إذا رَقِيَه يَعْلُوه عُلُوّاً، وعَلا فلان فلاناً؛ إذا قَهَرَه، والعَليُّ الرَّفيعُ وتَعالَى

تَرَفَّع؛ فعِلْيةُ وعِلّيَةُ جَمْعُ، عَلِيَ، كصِبْيَةٍ وصَبِيَ، أَي شَرِيف رَفِيع القَدْرِ؛ كما في الصِّحاح، وعَلاَ به وأَعْلاهُ، وعَلاَّهُ، بالتَّشْديدِ: أَي (جَعَلَهُ عالِياً) النَّاسِ، وعِلْيُهم، مَكْسُورَيْنِ: أَي جِلَّتُهُم، وأَشْرافُهم، ومنه: المَعْلاة: كَسْبُ الشّرَف، والجمع المعالي. وفلانٌ من عِلْية النّاس أي من أهل الشَّرف. وهؤلاء عِلْيَةُ قومِهم، مكسورة العين على فِعلة مخفّفة. وعَلِيَ في المَكارِمِ، كرضِيَ، عَلاً، مَقْصورٌ، وفي الصِّحاحِ بالمدِّ، وعَلاَ عُلُوًّا، كسُمُوَ، نقول: رجلٌ عالي الكَعْبِ: أَي شريفٌ؛ والمَعْلاةُ، كمَسْعاةٍ: كَسْبُ الشَّرَفِ، والجَمْعُ المَعالِي؛ فأَصل العلوّ: الارتفاع. وقد علا يَعْلُو عُلُوّاً، وعَلِيَ يَعْلَى علاءً، فهو عَلِيّ. فعَلا – بالفتح – في الأَمكنة والأَجسام أَكثر، وتعالَ: أَصله أَن يُدعى الإِنسان إِلى مكان مرتفع، ثمّ جُعِل للدّاعي إِلى كلّ مكان.

والمَعْلاة: كَسْبُ الشّرَف، والجمع المعالي. وفلانٌ من عِلْية النّاس أي من أهل الشَّرف. وهؤلاء عِلْيَةُ قومِهم.

1.2.3. مفهوم العلو اصطلاحا:

قيل المَعْلاة "جَمْعها مَعَالِي، وهومن المآثِر والحَسَب" وكسب شرف الأمور.

وعليه المعالي هو كل أمر يكسب صاحبه شرف ومآثر يتأثر بها في وسطه الاجتماعي.

2. الفقه التأصيلي للنفاق الاجتماعي:

إن المتأمل في الحياة الإنسانية وهي تعج بمختلف المعاملات: الخاصة والعامة، وعلى جميع المستويات والأصعدة الحيوية التي تقوم عليها حياة الإنسان سواء الاجتماعية منها أو الاقتصادية أو السياسية أو العسكرية..، الثقافية بل والتربوية والأسرية، فإن هذه المجالات تستدعي التفاعل بين الأفراد والهيئات الاجتماعية المختلفة، ولهذا كان لزاما عليها أن تضبط هذه العلاقات بضوابط أخلاقية تحفظ الوشائج المختلفة بين الأفراد والجماعات، ليكون هناك توازن اجتماعي مضبوط وتحفظ العلاقات الاجتماعية على المستوى العام والخاص؛ فالعلاقات البشرية "ذات طبيعة إنسانية لا تتأسس على المنفعة الشخصية وحدها، ومن ثم فهي ليست علاقات عقلانية مجردة، أو تعاقدية نفعية محضة، بل هي علاقات عضوية مركبة، والتراحم مبدأ ينظم مجموع من المفاهيم الأخلاقية كالترابط والتعاون والإيثار"، وغيرها من القيم الأخلاقية التي يتم التفاعل بها في الوسط الاجتماعي؛ لأن "الأخلاق هي ظاهرة سلوكية ونفسية تصل الإنسان حسيا وعمليا بالمحيط الكوني والبشري الذي يوجد فيه، وتشترك في تحصيلها العناصر الأساسية الثلاث: الدوافع الغريزية التدابير العقلية، التعاليم الدينية" (عروة، 1987)، ولهذا نجد أنه من خلال هذه التعاملات التي تؤثر بشكل أو بآخر على العلاقات الاجتماعية فتعتريها بعض الاضطرابات نتيجة سلوكيات منحرفة من طرف بعض الأفراد، فتؤثر على شبكة العلاقات الاجتماعية بمستويات مختلفة، وقد ألمح النبي صلى الله عليه وسلم إلى خصال إذا تعاطاها الأفراد فيما بينهم؛

تؤثر على الفرد كفرد وعلى مجتمعه بعد ذلك منبها على ضرورة تركها، بل والحرص على تجنبها تجنبا كليا، فقال: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا أَو كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ) وفيما يلي شرح عام للحديث:

1.2. المعنى العام للحديث:

إن هذه الخصال قد توجد في المسلم المجمع على عدم الحكم بكفره ومعناه صحيح؛ حيث أن هذه خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم، ومحصله: الحمل في التسمية على المجاز أي صاحب هذه الخصال كالمنافق وهومن باب الإنذار والتحذير عن ارتكاب هذه الخصال (ابن حجر، 1959)

ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم:" كان منافقا خالصا" أي شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال في حال كانت هذه الخصال غالبة عليه، فأما من يندر ذلك منه فليس داخلا فيه وفي ذلك تحذير "للمسلم أن يعتاد هذه الخصال التي يخاف عليه أن تفضي به إلى حقيقة النفاق "الأكبر الذي يخرج من الملة.

وعليه من يكون الكذب غالبًا على كلامه، ومستوليًا على حديثه، والخيانة على أمانته، والخلف على مواعيده، فإذا كان هذا شأنه قويت العلامة والدلالة. وأمّا من كان الكذب على حديثه نادرًا في خبره تافهًا، والخيانة في أمانته شاذة يدعى العذر فيها، والخلف في أو عاده، مثل ذلك معتذر بآفات منعته من الإنجاز فلا يقضى عليه بالنادر اليسير، إذ لا يمكن أن يسلم أحدٌ من كذب (ابن بطال، 2003) في غفلة النفس وسهو التصرفات.

و"لظاهر من هذا الحديث "أنّ فريقاً من المؤمنين كانوا يجلسون هذه المجالس فلا يقدمون على تغيير هذا ولا يقُومون عنهم تَقيةً لهم فنُهوا عن ذلك. وهذه المماثلة لهم خارجة مخرج التغليظ والتهديد والتخويف، ولا يصير المؤمن منافقاً بجلوسه إلى المنافقين، وأرَيد المماثلة في المعصية لا في مقدارها، أي أنّكم تصيرون مثلهم في التلبّس بالمعاصي" (ابن عاشور، 1997)، لا مثلهم في الاعتقاد.

فالنفاق "إنما هو إظهار المرء بلسانه قولاً يبطن خلافه كنافقاء اليربوع الذى يتخذه إن طلبه الصائد من قبل مدخل قصَّع من خلافه، فمن لم يجتنب الكبائر من أهل التوحيد علمنا أن ما أظهره من الإقرار بلسانه خداع للمؤمنين فاستحق اسم النفاق" (ابن بطال، 2003) بالسلوك، متلبسا بصفات المنافق؛ ولهذا حث الشارع الحكيم على" كل أمر يحمل على معالي الأخلاق الصائنة للعرض، المعلية لقدر الإنسان؛ ثم بعد هذا النهي العام نوّه

بالنهي عن نوع منه خاص" (البقاعي، 1997) كالخيانة والكذب، وإخلاف الوعد...وغيرها من الصفات المخلة بمروءة الفرد.

2.2. أثر تزييف الحقائق على معالي الأخلاق:

إن عادة الباطل يمسخ الحقيقة التي تؤدي إليها الكلمة، ويهدر قيمتها المعنوية والخلقية، فمتى اتصفت الكلمة بالباطل زافت الحقائق، وضاعت الحقوق، واشتعلت الفتن والأحقاد، وضلت العقول عن طريق الحق والهداية وسبيل الفضيلة والاستقامة (الحليبي، 1996)؛ واختلط الخير بالشر.

هذا، ولقد عد الإسلام الصدق في القول والعمل من أهم السلوكيات التي تهدي إلى خير الدنيا والآخرة؛ فعن عبد الله بن مسعود–رضي الله عنه– قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا" ، ومعنى الحديث "أن الصدق يهدي إلى العمل الصالح الخالص من كل مذموم, والبرُّ اسم جامع للخير كله...وأما الكذب فيوصل إلى الفجور, وهو الميل عن الاستقامة" فبالصدق يحفظ الإنسان توازنه النفسي، وكذا توازنه الاجتماعي كإنسان متحضر.

ودائما في سبيل ترقية سلوك الإنسان وتحسينه وتهذيبه؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ وَهُو عَلَيْهِ غَضْبَانُ"، فالإنسان إذا حلف من أجل أن يكسب متاعا ماديا أو معنويا، أومن أجل أن يتنصل من مسؤولياته التي أنيطت به كإنسان، فيعالج تقصيره باليمين الفاجرة، فهو إنسان فاشل مخادع، استحق غضب الله يوم القيامة.

وعليه فإن الصدق في القول والعمل يوصل إلى معالي الأخلاق.

3.2. أثر ضياع الأمانة على معالي الأخلاق: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وإذا أؤتمن خان" لأن خطر خيانة الأمانة عظيم بسبب أثاره الوخيمة على البشرية؛ والذي يكمن في اختلال نواميس الكون وهوما يبينه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر: حيث قَالَ: "فَإِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ"؛ فارتباط قيام الساعة بخيانة أمانة العهد الذي أخذه الله سبحانه وتعالى على آدم عليه السلام وهو: عهد الاستخلاف في الأرض بكل ما تحمل الكلمة من معان: أي الاستخلاف المعنوي والمادي. وهوما يتبين من قوله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (القرآن الكريم، سورة الأحزاب: الآية 72) فالأمانة مسؤوليتها عظيمة؛ وحياة الإنسان تستقيم وتثبت وتستقر بل وتستمر بحفظ الأمانة المادية والمعنوية في الأرض، فالأمانة ترتكز على أمانة الاستخلاف التي أنيطت بالإنسان منذ

خلقته الأولى، وما يتبعه من مهام وشروط ومقومات؛ فالسلوك الفعلي والذي تمثل في هذا الحديث في حفظ الأمانة للاستدلال على أن الأمانات المعنوية والنفسية لتنسحب إلى الأمانات المادية.

2. 4. خطر صفات النفاق على نفسية الفرد: لقد عد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممارسة بعض السلوكيات المخلة بشخصية الفرد لأن التحلي التدريجي بخصال النفاق يُشكل خطرا محتوما على الفرد والمجتمع؛ فمخالفة الظاهر للباطن نوع من الأمراض النفسية التي لابد أن يعالجها المرء إذا ما وجدها في نفسه، وإلا صار منافقا خالصا، فوجود إحدى هذه الصفات في الإنسان يصنفه في خانة المرضى نفسيا، ومن شأن المرض التضخم والزيادة، إذا لم يحاول المرء التعجيل بمعالجته، فكذلك من وجدت في نفسه خصلة منبوذة من خصال النفاق، فعليه أن يعالجها، وقد عبر النبي صلى الله عليه وسلم عن العلاج بقوله: "حَتَّى يَدَعَهَا" وكأنه أشار إلى أن الخصلة يمكن أن تتضخم وتصير خصالا إذا أهملها صاحبها، ولكن إذا سارع بعلاجها رجع لحالته الصحية العادية، وقد أكد بذلك أن الإنسان الذي يخادع الناس بفعله: منافق، وبين أن وجود خصلة واحدة فيه من هذه الخصال نوع من النفاق، ذلك لأنه إذا "نمت الرذائل في النفس وفشا ضررها، وتفاقم خطرها، انسلخ المرء من دينه كما ينسلخ العريان من ثيابه، وأصبح ادعاؤه للإيمان زورا، فما قيمة دين بلا خلق؟ وما معنى الإفساد مع الانتساب لله؟" (الغزالي، 1986). لأن الإنسان بهذه السلوكيات المتناقضة بين ظاهره وباطنه تشكل منه إنسانا مريضا نفسيا يحتاج إلى علاج.

هذا، "ووجه الاقتصار على هذه العلامات الثلاث أنها منبهة على ما عداها، إذ أصل الديانة منحصر في ثلاث: القول، والفعل، والنية، فنبه على فساد القول بالكذب، وعلى فساد الفعل بالخيانة، وعلى فساد النية بالخلف" (ابن حجر، 1959)، وهو تأكيد منه على ضرورة الاهتمام في إصلاح سلوك الفرد من ناحية:القول, والفعل, والنية، وبذلك يكون متحضرا، وإلا فهوما يزال مشاكسا بتصرفاته غير السوية لنفسه ولمجتمعه، ولهذا عد الله سبحانه وتعالى الإنسان المتخلف أشد الناس كفرا ونفاقا، قال تعالى:(الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (القرآن الكريم،سورة التوبة: الآية 97)، فالمنافق لا يعي حقيقة الدين، فإذا وعاها ما كان له أن يعاند ويكابر، وبذلك عده الإسلام متخلفا ولهذا سماه القرآن الكريم أعرابي المقابل للمتمدن أي المتحضر، وهي مقابلة لطيفة، ليبين الله تعالى بها أن الإنسان المتحضر لا يمكنه أن يسلك سلوكات مخلة بشخصيته، مهما كان مكان سكناه: مدينة أو ريفا، فهو متحضر بسلوكه، ومتخلف بسلوكه لا ببيئته ومقر إقامته.

هذا، وإن الإسلام "جاء لينتقل بالبشر خطوات فسيحات إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب، وأنه اعتبر المراحل المؤدية إلى هذا الهدف النبيل من صميم رسالته، كما أنه عد الإخلال بهذه الوسائل خروجا عليه

وابتعادا عنه، فليست الأخلاق من مواد الطرف، التي يمكن الاستغناء عنها، بل هي أصول الحياة التي يرتضيها الدين، ويحترم ذويها، وقد أحصى الإسلام بعدئذ الفضائل كلها، وحث أتباعه على التمسك بها واحدة واحدة" (الغزالي، 1986) ليبني بها نفسه وينشد بها الكمال في شخصه.

وعليه فإن النفاق مرض من الأمراض النفسية التي تحول دون الوصول للياقة السلوكية، لأنها لا تطابق بين الظاهر والباطن؛ فلهذا حث الإسلام على استئصال خصال النفاق من النفس لحصول الصحة النفسية للمسلم، فيكون ظاهره معبرا عن باطنه.

5.2. خطر التحلي بخصال النفاق على المجتمع: إن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد أبرزا خصال المنافق في مواضع متعددة، والمتتبع لهذه الخصال فإنه يجدها تتمحور على أربع خصال كبرى، وأساسية تدور حولها بقية الخصال، وهي تمس نخاع التعامل البشري، وكلها ترتبط بعزيمة القلب وقول اللسان وفعل الجوارح؛ وهذه الثلاث مرتكز العمل لدى الإنسان، فاتصاف الأعمال أو الأقوال بالزيف بعد عزم القلب على كل ذلك فإنه يهدم معالي الأخلاق في نفس الإنسان: فيغيب الصدق، وتضيع الأمانة، ويحل الغدر، وتكثر الخصومات والمشاحنات والتنافسات الدنيوية، وهي لعمري تنذر بانتقاض الهرم الاجتماعي بشكل تدريجي؛ حيث ينمو على الساحة اضطرابا اجتماعيا مبناه فقدان الأمن والأمان بين الأفراد والجماعات؛ فينطبع ذلك على السمة العامة للمجتمع؛ فالصراع "في الحياة يأخذ صورا وأشكالا عدة، وهو عام شامل، ومن أوجه هذه الصراع الموقف من الفطرة السليمة ومحاولة سلب هويتها الحقيقية، ويحاول الشيطان تغيير هذه الفطرة بالمسالك المنحرفة، فيدعو الإنسان إلى ما يخالف فطرته الظاهرة والباطنة التي خلق عليها" (كاظم، 2008). من حب للخير والحرص على تحري الصدق في القول والعمل، وهي حقيقة صبغة الله التي صبغ الناس عليها.

إن التدافع بين الخير والشر حقيقة أزلية قد صاحبت البشرية منذ خَلقها الأول؛ والتي حُصر تمثيلها في آدم عليه السلام أبو البشر في الوجود، والذي يشكل الجانب الخيري، وإبليس الذي يتزعم إمبراطورية الشر في الوجود، وبقي هذا التدافع بينهما في العالم الأرضي يُتوارث بين الأبناء من كلا الطرفين؛ يعمل كل طرف على نصرة طرفه، وكلما تغلب أحد طرفي الثنائية (الخير، الشر)، كانت الزعامة له، وانطبع ذلك على السلوك الاجتماعي العام لأفراد البشرية، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "حتى يدعها" يعني يدع التحلي وتعاطي الصفة في سلوكاته، لكن إذا تغلب جانب الشر وحب الدنيا في نفس الإنسان من عدة جبهات أخذ الزعامة: كان منافقا خالصا... وكأننا ننظر إلى التصارع القائم بين معالي الأخلاق: القولية والفعلية والقلبية وبين خصال النفاق وهوما عبر عنه أبو الدرداء بقوله:(تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ خُشُوعِ النِّفَاقِ، قَالَ: قِيلَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، وَمَا خُشُوعُ النِّفَاقِ، قَالَ أَنْ تَرَى الْجَسَدَ خَاشِعًا وَالْقَلْبَ لَيْسَ بِخَاشِعٍ" (ابن أبي شيبة، 1999) وكأن التقديس النفسي لبعض

الأشخاص يهيمن على نفس المرء: فتراه يعمل في إطار العبادة التي في حقيقة أمرها تكون لله تعالى لا شريك له، فتنسحب بالنية إلى ابتغاء إرضاء الناس أو إلى طلب إعجابهم أو طلب غرض دنيوي؛ فتضيع بذلك القيمة العليا للصلاة وهي إخلاص النية لله تعالى؛ إذن فأمر النفاق العملي أو السلوكي خطير حيث يخص كل فرد في المجتمع المسلم، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "حتى يدعها" وكأن الرقابة الآنية لخواطر النفس الوافدة عليها تعمل على التطهير الدوري للنفس، لكن التغافل عن تعاطي خصال النفاق يعمل على تآكل القيم الأخلاقية في النفس، ولهذا عبر النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:"كان منافقا خالصا" وهوتعبر عن الهيمنة والسيطرة التامة على معالي الأخلاق في النفس والسلوك: وكأنه شكل تآكلا للأخلاق بواسطة خصال النفاق، لأن بحلول خصلة نفاق يعني تآكل قيمة من القيم الأخلاقية في النفس، وهكذا دواليك، إلى أن ينتبه المرء لقوله وفعله ونيته، فيتراجع عن طريقه، فتبدأ خصال النفاق بالتآكل، وإذا غفل وتمادى الإنسان كان ذلك وبلا عليه لاقترابه من المنافق قلبا وقالبا، أوقال كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:"كان منافقا خالصا"؛ وهوما نستشف معناه من قوله صلى الله عليه وسلم: عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ فَإِنْ زَادَ زَادَتْ فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ". وإن التلون "المذموم هو التنقل من زي متكلف لا معنى له؛ إلى زي آخر مثله في التكلف وفي أنه لا معنى له، ومن حال لا معنى لها إلى حال لا معنى لها، بلا سبب يوجب ذلك، وأما من استعمل من الزي ما أمكنه مما به إليه حاجة وترك التزيد مما لا يحتاج إليه فهذا عين من عيون العقل والحكمة كبير" (ابن حزم، 1979). فعلى المؤمن المتدبر المعتبر أن يحرص على معالي الأخلاق وترك أراذلها، فيتدارك "نفسه بالبحث عن عيوبه والاشتغال بذلك عن الإعجاب بها، وعن عيوب غيره التي لا تضره لا في الدنيا ولا في الآخرة وما أدري لسماع عيوب الناس خصلة إلا الاتعاظ بما يسمع المرء منها فيجتنبها ويسعى في إزالة ما فيه منها بحول الله تعالى وقوته" (ابن حزم، 1979).

وعليه نصل إلى أن معالي الأخلاق تعمل عمل المد والجزر مع خصال النفاق، فكلما زيد في طرف تضاءل الطرف الآخر، والمحك في تزايد والتناقض في طرفي الثنائية: هي الرقابة الآنية للإنسان على نفسه.

3. الصبغة الربانية في النفس الانسانية:

قال تعالى:(صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ)(القرآن الكريم، سورة البقرة: الآية 138) ولقد جاء في معنى الآية الكريمة"أي: الزموا صبغة الله، وهو دينه، وقوموا به قياما تاما، بجميع أعماله الظاهرة والباطنة، وجميع عقائده في جميع الأوقات، حتى يكون لكم صبغة، وصفة من صفاتكم، فإذا كان صفة من صفاتكم، أوجب ذلك لكم الانقياد لأوامره، طوعا واختيارا ومحبة، وصار الدين طبيعة لكم بمنزلة الصبغ التام

[ص 69] للثوب الذي صار له صفة، فحصلت لكم السعادة الدنيوية والأخروية، لحث الدين على مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ومعالي الأمور، فلهذا قال – على سبيل التعجب المتقرر للعقول الزكية–: { وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً } أي: لا أحسن صبغة من صبغته (1).

وإذا أردت أن تعرف نموذجا يبين لك الفرق بين صبغة الله وبين غيرها من الصبغ، فقس الشيء بضده، فكيف ترى في عبد آمن بربه إيمانا صحيحا، أثر معه خضوع القلب وانقياد الجوارح، فلم يزل يتحلى بكل وصف حسن، وفعل جميل، وخلق كامل، ونعت جليل، ويتخلى من كل وصف قبيح، ورذيلة وعيب، فوصفه: الصدق في قوله وفعله، والصبر والحلم، والعفة، والشجاعة، والإحسان القولي والفعلي، ومحبة الله وخشيته، وخوفه، ورجاؤه، فحاله الإخلاص للمعبود، والإحسان لعبيده، فقسه بعبد كفر بربه، وشرد عنه، وأقبل على غيره من المخلوقين فاتصف بالصفات القبيحة، من الكفر، والشرك والكذب، والخيانة، والمكر، والخداع، وعدم العفة، والإساءة إلى الخلق، في أقواله، وأفعاله، فلا إخلاص للمعبود، ولا إحسان إلى عبيده.

فإنه يظهر لك الفرق العظيم بينهما، ويتبين لك أنه لا أحسن صبغة من صبغة الله، وفي ضمنه أنه لا أقبح صبغة ممن انصبغ بغير دينه.

وفي قوله: {وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ } بيان لهذه الصبغة، وهي القيام بهذين الأصلين: الإخلاص والمتابعة، لأن "العبادة "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة، ولا تكون كذلك، حتى يشرعها الله على لسان رسوله، والإخلاص: أن يقصد العبد وجه الله وحده، في تلك الأعمال، فتقديم المعمول، يؤذن بالحصر.

وقال: {وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} فوصفهم باسم الفاعل الدال على الثبوت والاستقرار، ليدل على اتصافهم بذلك وكونه صار صبغة لهم ملازما" (ابن السعدي، 2000)؛ بسبب التزامهم وثباتهم على صبغة الله تعالى.

إذن المنظومة الأخلاقية في المجتمعات البشرية لها أهمية خاصة في الدفع للمواكبة الحضارية للأمم، بل وتعمل على إرساء دعائم المجتمعات واستقرارها، إذا كانت اللبنات المكونة لها وهي –الأفراد– متماسكة ومتوازنة فيما بينها، لأن المنظومة المعنوية وهي القيم الأخلاقية التي هي جبلة في الإنسان هي أساس ثبات المجتمعات وتجذرها التاريخي، بل ويعمل تأصيلها في المجتمع من خلال إحداث توارثها بين الأجيال على نمو حضاري اجتماعي يدفع إلى الرقي والازدهار الاجتماعي، في حين يعمل غيابها أو تضاؤلها على اضطراب اجتماعي يزعزع البنية التحتية للمجتمع فتتصدع بقية البناءات، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم خلقا" (الترمذي، 2009)؛ فالخيرية إذن تحصل في الأفراد المتمتعين بمستوى أخلاقي عالي يتعاطونه في المجتمع عملا بأصلهم، وقد قرر النبي صلى الله عليه وسلم أنه

لا يكتمل إيمان الفرد إلا باكتمال القيم الأخلاقية في سجيته، ولهذا أشار (العيسوي، 1996) إن الإيمان يجعل الإنسان أكثر ثقة بنفسه وأكثر قدرة على الصبر والمصابرة وعلى الجلد وتحمل متاعب الحياة وعلى الشعور بالرضا، ولذلك فان الإيمان يؤدي إلى شفاء النفس والى الوقاية من مشاعر القلق والتوتر، والتأزم ويكسب الإيمان صاحبه المناعة ضد الأمراض النفسية والعقلية؛ فتكون ظلال ذلك الرقي الأخلاقي وارفة على الفرد والمجتمع، كون "الارتقاء الأخلاقي يستوعب الإنسان والعمران والمجتمع والأمة، إذ بصلاح الإنسان يصلح المجتمع، وبإصلاح المجتمع تصلح الأمة وبصلاح الأمة يصلح العمران، وبكل هذا ترتقي الأمة إلى مرتبة الأمة الشاهدة، ويُحفظ العمران ويزدهر" (كهوس،2018:ص57)؛ فإذا أردنا أن نُكون مجتمعا خيِّرا فلابد أن نُكون أفرادا أخيارا قبل ذلك، إذ أنه لا يمكن أن يسعد فرد في مجتمع مهما كان خيِّرا في ذاته إذا كان هذا المجتمع فاسدا شقيا، ولا يمكن تكوين مجتمع سعيد من أشقياء أشرار، ومن ثم لابد من البدء بالفرد المسلم، وذلك بتكوينه إنسانا صالحا خيِّرا في نفسه نافعا لمجتمعه، ويكون ذلك بتكوين روح الخير في نفسه ونزع شأفة الشر منها، فينشأ من الصغر حتى يتأصل الخير في نفسه فيحبه ويعمل له، ويتأصل كرهه للرذائل والشرور في قرارة نفسه فينفر منها ويبتعد عنها، ولا يحصل ذلك إلا بتعلم العلوم النافعة والتربية على الأخلاق الشرعية والفضائل الإسلامية، لأنه الوسيلة الوحيدة لبناء العضو النافع في المجتمع (السدلان، 1998). الذي يسعى في بنائه بداية من نفسه منتقلا إلى ما يحيط به، وذلك بتطبيق مبدأ الاستقامة في جميع سلوكياته الواقعية "لأن المجتمع ما هو إلا مجموع الأفراد، وأفراد المجتمع هم لبناته، ومن خلال بناء المجتمع تبنى الحضارة التي تحمل خصائص المجتمع، فيجب أن يتمثل المسلم المبادئ الأخلاقية ويلتزم بالعلم" (السدلان، 1998) فتكون فيه الخيرية التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قال: "لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا" (البخاري، 1422هـ: ص13/8) نستشف من هذا الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم ربط حصول الخيرية في الإنسان بتوفر الأخلاق الحسنة فيه ظاهرا وباطنا، بحكم أن أخلاقه تكون لها ظلال على المجتمع الذي يعيش فيه، وتعود بالخير عليه وعلى من حوله.

ولقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت:(فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلى الله عَلَيه وَسَلم كَانَ الْقُرْآنَ) (مسلم،2011: 270)، لأن الله سبحانه وتعالى ارتضى للإنسانية مثالا أخلاقيا كريما رسمه جل شأنه في القرآن الكريم قولا، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم الصورة التطبيقية الكاملة للرسم الإلهي.

هذا، وإن" الاخلاق لا تتمكن في المجتمع الا إذا تمكنت في الأفراد جامعة بين الاستعدادات النفسية كالرحمة والامانة والانصاف والتصرفات العملية الرشيدة كالدفاع عن الحق، وأما بعد الناس عن تلك الفضائل الأساسية بسبب ما يحملونه في نفوسهم من غرور وغفلة" (عروة، 1987)؛ وزهو بالنفس فيتعاطون خصال النفاق فإنهم يقوضون البناء الهرمي للمجتمع؛ فسلامة "المجتمع وقوة بنيانه ومدى تقدمه وازدهاره، وتماسكه مرتبط بسلامة الصحة النفسية والاجتماعية للأفراد، فالفرد داخل المجتمع، هو صانع المستقبل وهو المحور والمركز والغاية المنشودة، أما ما حول هذا الفرد من إنجازات ليست أكثر من تقدير لمدى فاعلية هذا الفرد، ولهذا فإن المجتمع الواعي هو الذي يضع نصب عينيه الفرد كأساس لازدهاره وتقدمه الاجتماعين قبل اهتماماته بالإنجازات والمشاريع المادية" (زرارقة، 2018) كون الإنسان وتكوينه النفسي هو المشروع الناجح الذي تقوم عليه بقية مشاريع الحياة المختلفة.

وعليه فإن معالي الأخلاق هي أصل متأصل خُلق في الإنسان، وأنه إذا عمل على تعاهدها يتحرى كل ما هو أصيل نفع نفسه ونفع مجتمعه.

4. نموذج عن النفاق الاجتماعي:

إن النبي صلى الله عليه وسلم بين وجه الخطر في صاحب النفاق الاجتماعي وهو تمتعه بعلم اللسان، أي أنه يبرز بلسانه ببراعة عكس ما تتطبع عليه، وفيما يلي حديث آخر يذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم نموذج من هذا الصنف الخطير على المجتمع؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ[1]السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ[2] يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ[3] فَلَا يَرَى شَيْئًا وَيَنْظُرُ فِي الْقِدْحِ[4] فَلَا يَرَى شَيْئًا وَيَنْظُرُ فِي الرِّيشِ[5] فَلَا يَرَى شَيْئًا وَيَتَمَارَى[6] فِي الْفُوقِ" (البخاري، 2002)، لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث خطر عدم استفادة المرء من قراءة القرآن باللسان إذا لم تواطئ القلب والجوارح؛ فعدد صلى الله عليه وسلم ميزات الفئة غير العاملة بالقرآن الكريم–رغم أنها تتلوه وتقوم بأعمال البر ظاهرا–:

الميزة الأولى أنهم من المسلمين: وهوما يتبين من قوله صلى الله عليه وسلم: "يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ"؛ بمعنى أنهم من نسلهم، أومن ملتهم.

الميزة الثانية الإتيان بالطاعات بشكل مميز: وهوما يتبين من قوله صلى الله عليه وسلم: "تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ" فهم يأتون من الطاعات: من صلاة وصيام وأعمال للبر يحتقر الصحابة رضوان الله عليهم طاعاتهم إلى جانب هذه الطاعات.

الميزة الثالثة: الاعتناء بقراءة القرآن الكريم شكلا لا مضمونا: وهوما يتبين من قوله صلى الله عليه وسلم:"وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ"؛ وهذا يدل على تركيزهم في قراءتهم للقرآن الكريم على حسن تلاوته، وخاصة اهتمامهم بتحسين مخارج الحروف، دون تدبر معاني تركيب تلك الحروف، وفي ذلك إبراز عيب فيمن أخذ بالقرآن تلاوة، دون الاهتمام بأخذه سلوكا عمليا، وهذا يدل على عدم تأثير القرآن الكريم فيهم لا تدبرا ولا في سلوكاتهم العملية.

فهذا النوع من الناس "إذا درس القرآن أو درسه عليه غيره؛ همته متى يقطع ليس همته متى يفهم، لا يتفكر عند التلاوة بضروب أمثال القرآن، ولا يقف عند الوعد والوعيد، يأخذ نفسه برضى المخلوقين ولا يبالي بسخط رب العالمين، يحب أن يعرف بكثرة الدرس ويظهر ختمه للقرآن ليحظى عندهم، قد فتنه حسن ثناء الجهلة من جهله، يفرح بمدح الباطل وأعماله أعمال أهل الجهل، يتبع هواه فيما تحب نفسه غير متصفح لما زجره القرآن عنه" (الآجري، 2003).

ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم أثر هذه القراءة الشكلية للقرآن حيث قال: "يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ "بمعنى يخرجون عن حدود الدين بشكل دائم وفي كل شيء، وهذا نتيجة قراءتهم السريعة غير المتأمل فيها، ثم أعط النبي صلى الله عليه وسلم لسرعة خروجهم عن حدود الدين وعدم تعلق أحكام القرآن الكريم بهم كسلوك؛ بسرعة خروج السهم من الطريدة، فقال: "كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلَا يَرَى شَيْئًا وَيَنْظُرُ فِي الْقِدْحِ فَلَا يَرَى شَيْئًا وَيَنْظُرُ فِي الرِّيشِ فَلَا يَرَى شَيْئًا "فبراعة الصياد تجعل السهم يدخل في الطريدة ليخرج من جانبها الآخر، دون أن يكون أثرا لدمها: لا في النصل ولا في القدح ولا في الريش، رغم أن السهم خرق الطريدة وخرج من الجانب الآخر، فكذلك الأمر مع الذي يقرأ أحكام القرآن الكريم، ثم لا يمْتَثِل لها، لا في النفس ولا في المعاملة ولا في المظهر الخارجي.

ووجه الشبه بين سرعة خروجهم عن أحكام الدين وسرعة خروج السهم من الرمية يكمن في:

1.4. عدم تأثير القرآن الكريم في الشخصية غير السوية:

وقد مثله النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ "فقد مثل شخصية الإنسان بالنصل لأنه أهم جزء في السهم، فكذلك شخصية الإنسان هي أهم شيء في حياته، وبها أنيطت تكاليف الخلافة به، وهي

المميزة له عن بقية الناس، ووجه الشبه أنه يأتي من أنواع الطاعات الكثير، ولا يكون في قراءته لشرعة الله تعالى _والمتمثلة في القرآن الكريم–أثر في شخصيته، ومعنى ذلك كله؛ أنه لا يرى للدين أثرا في سلوكاتهم العملية، ولا أخلاقهم الاجتماعية، فلا يُعرفون إلا بما يرددونه من ألفاظ القرآن الكريم: بتلاوتهم وإتقانهم لقراءته، وإبهار الناس بأصواتهم، ولهذا قال لا يجاوز حناجرهم، وفي بعض الروايات تراقيهم، لتعلق القرآن الكريم بها لفظا لا عملا ولا امتثال ذلك بالسلوك العملي، وكأنه إيماء منه صلى الله عليه وسلم إلى الرياء والسمعة والتفيقه، وهو تكريه منه لشدة هذا الأمر على الخلق يوم القيامة، قَالَ رَسُولَ اللَّهِ–صلى الله عليه وسلم–:"... وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُو قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِي النَّارِ" (مسلم،2011: ص760). فلعدم تأثير القرآن في سلوك الإنسان وواقعه النفسي نتيجة رهيبة لتاليه ودارسه، لأنه يحول الإنسان عبد لغير الله تعالى؛ فهمه الوحيد هو التظاهر والتفيقه به في المحافل بين الناس، فيسحب على وجهه إلى النار – وبئس القرار– عقوبة له يوم القيامة.

2.4. عدم تأثير القرآن الكريم في تفاعل الإنسان غير السوي مع مجتمعه:

وقد مثله النبي صلى الله عليه وسلم بالقدح، فقال: "وَيَنْظُرُ فِي الْقِدْحِ فَلَا يَرَى شَيْئًا"؛ فالقدح يربط النصل بالسهم، فكذلك الإنسان يرتبط مع مجتمعه بتفاعلات متبادلة، فهذه الفئة من الناس لا يُرى أثر للدين في تفاعلاتها الاجتماعية، وهذا نتيجة عدم تذكر أحكام القرآن الكريم، فيتعاملون بالحرام: من ربا وسرقة وسوء معاملة؛ مخالفين بذلك الأوامر والزواجر الواردة في القرآن الكريم.

3.4.عدم تأثير القرآن الكريم في مظهر الإنسان غير السوي:

وهوما مثله النبي صلى الله عليه وسلم بالريش فقال: "وَيَنْظُرُ فِي الرِّيشِ فَلَا يَرَى شَيْئًا"، إن الريش يستعمل عادة للزينة في اللباس، والله سبحانه وتعالى عبر عن استفادة الإنسان منه في اللباس من أجل تنميق مظهره؛ فقال جل شأنه:(يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ) (القرآن الكريم، سورة الْأَعراف الآية 26) بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة أن: الريش مما يستفاد منه الإنسان في تنميق مظهره، والنبي صلى الله عليه وسلم جاء بالمشبه به وهو الريش، وأضمر وجه الشبه وبقيت الصفة وهي زينة الريش، ووجه الشبه أن الشخص لا يراعي لباس التقوى الذي يكون من الدين في مظهره.

وعليه فإننا نستنبط من هذا الحديث الشريف: أن النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن الاهتمام بأخذ أحكام الدين ككلمات باللسان فقط دون أن يتعاملوا به كسلوك اجتماعي، وفي الحديث إيماء إلى ضرورة قراءة

القرآن الكريم بتدبر، وجعل أحكامه شرعتهم في الحياة العامة والخاصة؛ حتى تؤثر في شخصيتهم كاملة فتظهر في كل علاقاتهم.

خاتمة:

وبذلك نصل في نهاية هذا البحث إلى أن النفاق الاجتماعي له خطر كبير على معالي الأخلاق حيث يعمل على تقويض بنائها تدريجيا، مما يؤثر سلبا على نفسية الفرد، وكذا على العلاقات الاجتماعية، مما قد يؤدي إلى اضطرابها على المدى البعيد على مستويات مختلفة: الاجتماعية منها السياسية والاقتصادية والتربوية...وهوما لزم على أهل العلم وأهل الوعظ والإرشاد إلى ضرورة معالجة هكذا مواضيع، بعقد ندوات وملتقيات، ودروس على مستوى وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة للتذكير والتنبيه والتعليم، للحد من هذه الصفة، التي يمكن تلاشيها في نفس المسلم بكلمة طيبة، وتدليل شرعي صحيح.

[1]–يَمْرُقُ: مَرْقاً ومُرُوقاً خرج من الجانب الآخر. ابن منظور، لسان العرب، 235/4.

[2]–الرمية: الرَّمِيَّة هي الطريدة التي يَرْميها الصائد وهي كلُّ دابةٍ مَرْمِيَّةٍ. ابن منظور، لسان العرب،5343/6.

[3]–النَّصْلُ: حديدةُ السهم والرمحِ. ابن منظور، لسان العرب، 4170/4.

[4]–قِدْحٍ: وهو السهم الذي يُرْمى به عن القوس، ومنه يقال: قَدَحَ في القِدْحِ يَقْدَحُ وذلك إذا خَرَق في السهم بسِنْخِ النَّصْل. ابن منظور، لسان العرب، 976/1.

[5]–ورِشْتُ السَّهْمَ أَريشه: جعلتُ عليه الرِّيش. ومنه استعير لإصلاح الأمر: فقيل: رِشْت فلان فارتاش. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،114/3. تحقيق: محمد علي النجار. طباعة وتجليد: مؤسسة الأهرام بجمهورية مصر العربية. ط3– 1416هـ – 1996م.

[6]–يَتَمارى: تَمارِياً وامْتَرَى امْتِراءً إذا شكَّ. ابن منظور، لسان العرب،5645/6.

قائمة المراجع

1. أ العيسوي. (1996). *الإسلام والعلاج النفسي الحديث* (الإصدار 1). لبنان: دار النهضة العربية.
2. أ عروة. (1987). *العلم والدين: مناهج ومفاهيم* (الإصدار 1). سوريا: دار الفكر للطباعة.
3. ب. ع ابن حجر. (1959). *فتح الباري شرح صحيح البخاري* (الإصدار 1). لبنان: دار المعرفة.
4. الحليبي ب. ع. ا. (1996). *المسؤولية الخلقية والجزاء عليها– دراسة مقارنة* (الإصدار 1). الرياض: شركة المملكة العربية السعودية.
5. الراغب الأصفهاني. (2009). *مفردات غريب القرآن* (الإصدار 1). المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز.
6. الزبيدي، مرتضى. (1979). *تاج العروس من جواهر القاموس*. الكويت، الكويت: مطبعة: حكومة الكويت وزارة الأعلام .
7. الفيروز أبادي. (1996). *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز* (الإصدار 1). مصر: مؤسسة الأهرام.
8. ا البقاعي. (1997). *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور* (الإصدار 1). لبنان: دار الكتب العلمية.

9. ح. ف كاظم. (2008). *الفطرة في الإسلام* (الإصدار 1). لبنان: دار الكتب العلمية.
10. ر كهوس. (2018). المنظومة الأخلاقية في السيرة النبوية العطرة –التجليات والغايات. *مجلة العلوم الإسلامية والحضارة*، *6*(2)، 57.
11. ص. ب. غ السدلان. (1998). *الضرورة إلى العلم الشرعي* (الإصدار 1). دار بلنسية.
12. ع. ا ابن أبي شيبة. (1999). *المصنف في الأحاديث والآثار* (الإصدار 1). المملكة العربية السعودية: مكتبة الرشد.
13. ع. ا ابن السعدي. (2000). *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان* (الإصدار 1). لبنان: موسسة الرسالة.
14. ع. ب. أ ابن حزم. (1979). *الأخلاق والسير في مداواة النفوس*. لبنان: دار الأفاق الجديدة.
15. ع. ب. خ ابن بطال. (2003). *شرح صحيح البخاري* (الإصدار 1). المملكة العربية السعودية: مكتبة الرشد.
16. ف زرارقة. (2018). *المشكلات النفسية لدى الطفل المسعف –بين الحرمان العاطفي والاستبعاد العاطفي. في مشكلات الصحة النفسية للأطفال في الجزائر الواقع والحلول* (الإصدار 1). الجزائر: مركز البحث في العلوم الاسلامية والحضارة.
17. م الغزالي. (1986). *خلق المسلم* (الإصدار 1). مصر: دار الريان للتراث.
18. م. ا ابن عاشور. (1997). *تفسير التحرير والتنوير* (الإصدار 1). تونس: دار سحنون.
19. م. ب البخاري. (2002). *الجامع المسند الصحيح* (الإصدار 1). لبنان: دار طوق النجاة.
20. م. ب. ا الآجري. (2003). *أخلاق أهل القرآن* (الإصدار 1). لبنان: دار الكتب العلمية.
21. م. ب. ع الترمذي. (2009). *الجامع الصحيح* (الإصدار 1). المملكة العربية السعودية: دار السلام.
22. م. ش الكرماني. (1981). *الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري* (الإصدار 2). لبنان: إحياء التراث العربي.